أية نفوس تلك التى خلت من معانى الرحمة ، وأية قلوب تلك التى تحجرت فلا ينبض فيها عرق بعاطفة ، وأية عقول تلك التى أذهلتها القسوة فلا تصغى لصوت برىء ، ولا تحفل بشكاة مظلوم ... هكذا كانت تحدث نفيسة المرادية نفسها بهذا كله ... وذكريات حياتها الطويلة مليئة بالمآسى والفواجع التى وقعت على هذا الشعب ...

فئة ظالمة تلهو بضحاياها من سكان البلاد الآمنين ، كما يلهو عالم التشريح بحيوان بائس ... ولكم ودت أن تفر من هذا العذاب إلى بلد آخر تنعم فيه بالهدوء والصفاء والأمن ... ولكن أنَّى لها ذلك ، وهى زوجة الحاكم الأعلى للبلاد مراد بك ، وقد فرض عليها هذا المركز ، مع ما فطر عليه قلبها من حب وعطف لهذا الشعب ، ومع ما اشتهرت به فى عهده من لقب عزيز ... يوضح مواهبها العديدة ، وينم عن باقة غالية من أسمى العواطف وأزكاها ... وهو لقب « **أم المماليك** »... لذلك لم يكن هناك مفر إلا أن تبقى لتكون الموئل والملاذ للجميع ... حكاما ومحكومين ؟

إن لقب « أم المماليك » .. قد ينظر إلى معناه ، فيما يشبه التناقض لأن الأمومة فى عهد المماليك معناها الرحمة ، ولأن ما شاب عهد المماليك من قسوة ومظالم ، وما أورثنا إياه حكام بيت محمد على ، أن لفظ المماليك مرادف لجميع أنواع المظالم ، وفى الحقيقة لم يكن حكم المماليك ظلما كله ، كما لم يكن عهد محمد على ولا عهد الحكام من أسرته خيراً كله ، بل كانت مظالمهم فى أحوال كبيرة لا تقل عن المظالم فى عهد المماليك .

فكيف تجمع المرادية بلقب الأم ... والمماليك ، وكان يمكن أن تلقب بالأم وكفى ... وهذا يعنى الشمول والتعميم ، بدلا من تحديد أمومتها